يا صاحبي

جبران خليل جبران

* * * * *

يا صاحبي — انا لست كما اظهر لديك ، وما مظاهري سوى رداء دقيق الصنع محوك من خيوط التساهل والحسنى ألتف به ليدرأ عني تطفلك ويحميك من اهماني . اما الذات الخفية التي ادعوها « انا » فهي سر عميق غامض مستتر وراء جدران السكون وسيبقى غامضاً مستتراً معتصماً الى الابد

يا صاحبي — اود ان لا تصدق ما اقول وان لا تثق بما افعل لان كلماتي ليست سوى صدى افكارك وما آتي ليست سوى رسوم آمالك

يا صاحبي — لما تقول لي « الريح تهب شرقاً » اجيبك بقولي « اي » فهي تهب شرقاً » لانني لا اريدك ان تعلم ان افكاري لا تسبح مع الريح بل تهبط وتتصاعد مع امواج البحر . وانت قاصر بطبيعة افكارك المستسلمة الى الارياح عن ادراك طبيعة افكاري المرفرفة فوق البحار ، وانا لا استطيع ان أبين لك كنه تلك الافكار ، ولو

استطعت لما فعلت لانني او ترى اسبح في البحر وحدي

يا صاحبي — لما تكون في ظهيرة نهارك نائماً في منتصف ليلي ، ومع ذلك فانا احدثك من وراء حجاب الدجى عن الشمس في الطفل وعن اشعتها الذهبية الراقصة فوق قمم الجبال وعن الظل الضليل الذي يسترق خطواته في الاودية الخضراء . احدثك عن هذه الامور لانك لا تستطيع ان تسمع الحان ظلمتي ولا تقدر ان ترى خفقان جناحي بين الكواكب . وانا لا اريدك ان تسمع او ان ترى لانني او ترى ان ابقى مع الليل وحدي .

يا صاحبي — لما تصعد انت الى جنتك انحدر انا الى جحيمي . وحتى في جحيمي اسمعك تناديني من وراء الهاوية الهائلة التي تفصلنا قائلاً « يا صاحبي — يا رفيقي » فاجيبك هاتفاً « يا رفيقي — يا صاحبي » لاني اضن بجحيمي من ان يقع عليه بصرك واخشى من لهيبه ان يلتهم النور في عينيك ومن دخانه ان يسد منخريك . اما انا فمولع بجحيمي واوثر ان ابقى بعيداً عنه لاني اريد ان اكون في الجحيم وحدي .

يا صاحبي — انت تعشق الحق والجمال والفضيلة . وانا لاجلك اقول انه يليق بالانسان ان يحب هذه الاشياء . ولكنني اضحك في قلبي من حبك — واستر عنك ضحكي لاني افضل ان اضحك وحدي

يا صاحبي — انت صديق وحكيم ومتنور ، لا بل انت كامل ، وانا احاول

ان اخاطبك بحكمة وتروٍ . غير اني مجنون منجذب عن العالم الذي تتعلنه انت الى عالم غريب وبعيد . لكنني استر عنك جنوني لانني افضل ان اكون مجنوناً وحدي

يا صاحبي — انت لست صاحبي فكيف اجعلك ان تدرك ذلك ؟ طريقك ليست طريقي ولكننا نسير معاً يداً بيد .